الأخلاق فى شعر شوقى

رد على رد(١)

لعزيز عبد الله النجدى ناصف

يسرف بعض المعجبين بشوقى فى التعصب له ، كما يسرف بعض خصومه فى التعصب عليه : أولئك يريدون أن ينزله الناس معهم بأسمى من منزلته ، ويقدرونه بأكبر من قدره ، وهم لذلك لا يطيقون أن يسمعوا عنه إلا أحاديث الحمد والاعجاب . وهؤلاء يريدون أن ينزله الناس معهم دون منزلته ، ويقدروه بأصغر من قدره ، وهم لذلك لا يطيقون أن يسمعوا عنه إلا أحاديث الزراية والانتقاص .

وهيهات أن يظفر هؤلاء وأولئك بشىء مما يشتهون ، فالحقيقة أبين من أن تطمس ، وإن تراكبت عليها الأغشية ، وتجمعت من حولها الحجب ، وأقوى من أن تقهر ، وإن تألب عليها الباطل ، وخذلتها الأحوال . وهى على أصحابها عزيزة ، وفى أعناقهم أمانة ، لذلك فهم لا يألون جهدا فى نصرتها والدلالة عليها ، حتى تسفر لكل ذى عينين ، ويؤمن بها من كان منها فى شك مريب .

ولقد تمتحن الحقيقة بعض الأحيان بما يغمطها ، ويغير من سمتها ، ويثاب الباطل بما يرفع ذكره ، ويعظم أجره ، حتى يغلب الإشفاق كل غيور ، ويساور اليأس كل مشفق ، ويخيل إليه أن لم يبق فى الأرض إلا الفتن والضلال ، ولكن الذى لا ينبغى أن يكون عليه خلاف ولا فيه ريب أن الظفر آخر الأمر للحقيقة ، والخذلان للباطل وإن طال الزمان .

---

(١) أطلعت إدارة الصحيفة الاستاذ النجدى على نقد الاستاذ الخطيب فأعد هذا الرد عليه ولكن الصحيفة أرجأت نشره فى العدد السابق حتى تنشر بقية نقد الاستاذ الخطيب فى هذا العدد .

وكم من علم واتاه الحظ ، وحاباه العصر ، فنال أكثر مما يستأهل بل أكثر مما يرجو وآخر أدبر حظه ، وجافاه عصره ، فعاش خاملا مغبونا ، وقضى قبل أن يدرك من دنياه أربا ، ثم مالبث الناس بعد أمد طويل أو قصير أن رأوا الحق يعلو ، والباطل يهوى . رأوا هناك أغشية ترفع ، وحجبا تزال ، وصوتا يجهر ثم يمضى فى الجهر حتى يملأ الدنيا دويا ، ورأوا هنا شبحا يتخاذل ، ثم يتحطم ويتضاءل ، ورأوا من حوله ضجة تخفت ، ثم تمضى فى الخفوت حتى تنقطع نأمتها ، ويشملها صمت أصحاب القبور .

ولم يتح لشوقى بعد أن يدرس الدراسة الحقيقة به ، على ما كان له فى حياتنا الأدبية من أثر غير منكور ، فلا يزال علم الناس به ناقصا ، وآراؤهم فيه مشوبة ، وهذا بلا ريب تقصير فى جنب الرجل ، لا ينبغى أن يطول أمده أكثر مما طال ، فعسى الأدباء أن ينشطوا لدراسته ، ولا يتوانوا فى الكشف عن منزلته التى يؤهله لها فنه لا التى تريدها له الأهواء ، تعصبا له أو تعصبا عليه . ويسرنى أنى خطوت فى هذا المجال خطوة ، وليس هنا مقام إعلانها أو الحديث عنها . فحسبى أن أشير إليها ، ثم أتوجه إلى الله بالرغبة الخالصة أن يعينى على إخراج أثرها عما قليل . وأعتقد أن شوقى رحمه الله كان يكره الغلو ، ولا يرضاه للناس مذهبا ولا مشيرا ، أخذا من قوله:

ليس الغلو أمينا فى مشورته مناهج الرشد قد تخفى على الغالى

فاذا كان يرحمه الله قد أنكر من بعض خصومه الغلو فى انتقاصه والغض من شعره ، فهو ولا ريب حقيق أن ينكر من بعض أنصاره الغلو فى التشيع له والثناء عليه .

فخير للمسرفين من هؤلاء وهؤلاء أن يدبروا أمرهم ويرفقوا بأنفسهم ، فيروضوها على الهدوء والاحتمال ، فقد آن أن يسمعوا عن صاحبهم منذ اليوم كثيراً مما يكرهون . وما يقصد أحد بذلك أن ينغص عليهم ، أو يسىء

إلى أحد منهم ، ولكنها الحقيقة الصريحة يجب أن تقال فى غير مواربة ولا خداع ، وبعض ما يصنعون مع ذلك كاف وزيادة ، وليس منه على كل نفع ولا خير . والله الهادى إلى سواء السبيل . وإن الذين قرءوا مقالى عن « الأخلاق فى شعر شوقى » ، وقرءوا رد الأستاذ عنانى الخطيب عليه ليعلمون أنه من غلاة الشوقيين ، لا من كلامه عن صلته به وصداقته له فقط ، ولكن من جملة رده ومن طريقته فى الرد أيضاً .

فقد أخذ على المقال أول ما أخذ أنه كان لا بد فيه من الحديث عن أخلاق شوقى وأخلاق الناس فى عصره . وهو مأخذ كان يمكن أن يكون صحيحا لو أن مقالى كان موازنة بين الأخلاق فى شعر شوقى ، والأخلاق فى نفسه وبيئته ، لكنه كان لسوء الحظ عن « الأخلاق فى شعر شوقى » ليس غير . أى عن الأخلاق كما رآها الشاعر ، وكما استطاع أن يصورها للناس فى شعره . وفرق بين الموضوعين عظيم . ذاك بحث فلسفى أكثر منه فنيا ، يتجه إلى الفضائل فى شعر شوقى ، فيحصى جملتها ، ويبين أنواعها ، ويسمى كلا منها باسمه الخاص ، ثم يتجه إلى نشأته وبيئته ، يتلمس فيها مصادر تلك الفضائل وأسباب القصد إليها والقول فيها دون سواها . وهذا بحث فنى أكثر منه فلسفيا يتجه إلى الفضائل فى شعر شوقى ، يتعرف مبلغه من التوفيق فى تصويرها ، ومبلغ النقد من الإنصاف حين سماه وحده شاعر الأخلاق .

ولا شك أن بين موضوعنا وبين أخلاق الشاعر وأخلاق الناس فى عصره صلة ، ولكنها ككل صلة بينه وبين شخصية الشاعر ، تتصل به من بعيد ، وتتصل بغيره من قريب ، فتكون به أشبه ، ويكون هو بها أحق . فلو أن شوقى كان فى نفسه ملكا ، وكان الناس من حوله شياطين أو ملائكة مثله ثم لم يقل فى الفضائل شيئا ، أو قال فيها ، ولكن لم يشتهر بها ، وينسب إليها ما عنانا أمره ، ولا فكرنا أن نكتب عنه المقال الذى كتبناه . إذا لتكن

أخلاق شوقي وأخلاق عصره معه ما تكون ، وليكن حظه من الفضيلة وحظ عصره معه كذلك ما يكون . فما لشيء من هذا أردنا ، ولا إليه توجهنا ، وليس لنا فيه نفع ، ولا بنا إليه حاجة فى هذا المقام .

وما أحسب الأستاذ عنانى إلا يعلم ذلك ويؤمن به ، لكن العصبية الغالية قبحها الله ، أنسته علمه ، وزعزعت إيمانه ولم تبال أن تزين له اغتنام هذه الفرصة لامتداح صاحبه ، والإشادة بمناقبه ، مع أنهما ليسا من الموضوع ولا الموضوع منهما فى شيء ، وآنس هو من ذلك راحة نفس وقرة عين ؛ فخف له ، وأمعن فيه حتى جعل له الشطر الأول من رده ، كأننا حين نلنا من بعض شعر الشاعر فى الأخلاق إنما كنا نال من فضائل نفسه فى حقيقة الواقع . وليس يسعنا على كل حال إلا أن نذكر للأستاذ عنانى غيرته على سمعة صاحبه ، وتجرده للدفاع عنه ولو أنه دفاع لا يقابل هجوما إلا فى الخيال ولا مندوحة لنا مع ذلك أن نستأذنه فى ترك القسم الأول من رده ، لا نعرض له بقول ، لأنه لا يعنينا ولا نعنيه فيما نحن بسبيله الآن .

وأول ما يلقانا به الأستاذ عنانى فى مستهل القسم الأخير من رده — هو هذا الحشد الكبير من شعر شوقى فى المدح والرثاء ، وفى وصف النصر والهزيمة ، وفى غير أولئك من مقاصد الشعر ، يريد أن يقول . إن شوقى قد صنع بها للأخلاق مالم يصنع الشعراء ، فان يكن ذلك فعجيب ، فإنما المراد هنا بحكم التفرقة والتمييز بين الأشياء — شعر شوقى فى الأخلاق خاصة ، يرسله حكمة أو مثلا . أما شعره فى الأخلاق كما يصفها فى ممدوح أو مرثى ، أو فى جيش مظفر أو منهزم فليس هناك . لأنه لا يمس الأخلاق قصدا ، ومن طريق مباشرة . وهو بعد عمل مشترك . لكل واحد من شعراء المدح والرثاء والوصف منه نصيب . فلو كان له حساب فى المفاضلة بين شعراء الأخلاق لكان غير شوقى أحق منه بلقب شاعر الأخلاق ، فليس هو بأمدح

الناس وأرثاهم وأوصفهم ، ولا هو بأكثرهم فى ذلك قولا ، ولا أطولهم فيه نفساً ، ولا أوسعهم مجالا ، بل ربما كان من الخير ألا يذكر شعراء المدح والرثاء حين الكلام عن الفضائل ، فقد أساءت جملتهم إليها أكثر مما أحسنت

ويرى الأستاذ عنانى بعد هذا أن ليس بعجيب أن نجد شـــوقى يدير الأخلاق على معانى البناء وأحواله ، والبناء وأجزائه كما قلت فى بعض مآخذى عليه ، ويعلل ما ذهب إليه من ذلك بأن أخلاق المصريين فى عصره كانت فى حاجة ماسة إلى مثل هذه الروح القوية . ولك أن تسأل الأستاذ إن شئت: أى روح هذه التى يشير إليها ، ثم يعود فيصفها بالقوة ؟ أما أنا فأسأل سؤالا ثانيا لا بد من توجيهه إليه ، أسأل عن البناء : أليس فى الوجود شىء آخر أشد منه قوة ، وأمنع منالا ، فيتخذه شوقى مداراً لشعره فى الأخلاق حين تكون مصر لعهده فى حاجة إلى مثل هذه الروح القوية ، كما يقول ، على أن الشاعر إذ يدير شعر الأخلاق على معانى البناء لا يتخير نوعا منه موصوفا يقيس إليه ، ويشبه به ، ولكنه يذكره مطلقا شاملا ، وهذا يعنى أنه لم يرد معنى القوة ولا فكر فيه ، ولكن أراد معنى التراكب والأقامة أوسع ما يكون . وسؤال أخير لا أرى بدآ من سؤاله هنا أيضاً . فما رأى الاستاذ فى الشاعر يكرر معناه فى موضوع ما غير مختلف فى الجوهر والصميم، ويؤلف صورة من فكرة واحدة ثم يزجيها على هيئة واحدة كذلك أو هيئات متماثلة فى الألوان والأشكال ؟ وهل يرى أن من العدل وبراءة النقد أن يقول قائل عن مثل هذا الشاعر : إنه قد صنع لموضوعه شيئا ذا قيمة فضلا عن أن يقال إنه قد بز فيه الأنداد والنظراء ؟

ويعجب الاستاذ عنانى لطريقتى فى رواية النصوص الأخلاقية ، ويردف تعجبه هذا بما يدل على أنى تعمدت اقتضابها لأصل إلى غايتى ، التى لا ترضيه ولا يوافقنى عليها ، أى إلى غمط شوقى والنيل من شعره ، فإذا مامضى يستشهد

لما يقول — لم يذكر لنا غير النص الذى رويته من قصيدة مملكة النحل ، والذى رويته من نهج البردة . وأود قبل كل شىء أن أعتذر للاستاذ عنانى هذه التهمة ، لأنى على ثقة أنه لم يتعمدها ، ولكنه انساق إليها بتحريض العصبية لصديقه ، ثم أعود إلى ما كنت فيه . قال الأستاذ عنانى : فالأبيات التى قالها شوقى فى مملكة النحل لا يتم معناها إلا بما بعدها ، ثم روى على الأثر هذه الأبيات :

أليس فى مملكة النحـــل لقوم تبصره
ملك بنـــاه أهـله بهمـة ومجـده
لو التمست فيـه بطـــال اليدين لم تره
تقتل أو تنفى الكسا لى فيه غير منذرة

وهذه الأضافة كما يرى القارىء لا تتكلم عن الأخلاق كما نريدها ، ويريدها معنا عنوان البحث ، ولكنها تصف الأسس التى تقيم النحل ملكها عليها ، والسياسة التى تلتزمها فى حياتها ، تقصيا لموضوع القصيدة ، ومتابعة للقول عن النحل ، ثم تلتفت فتتساءل : أليس للناس فى هذا تبصرة وذكرى. وهذا شىء وتصوير الأخلاق شىء غيره . والدليل على أن شوقى إنما أراد بهذه ا بيات مجرد الدرس واستخلاص العبرة أنه يذكر فيها أن النحل تأخذ الكسالى من أنفسها بالقتل أو النفى من الأرض ، دون أن تنصح لهم أو تعذر إليهم :

تقتل أو تنفى الكسا لى فيـه غير منـذرة

ويذكر عنها بعد ذلك أنها تولى عليها أنثى منها ، فتسير فيها سيرة القياصرة المستبدين :

تحكم فيـه قيصره فى قومهـا مـوقره
من الرجال وقيـو د حكمهم محرره

وأعتقد أن شوقى لا يقر أمثال هذه المبادىء ، فضلا عن أن يدعو اليها ويريد الناس على الاخذ بها فالمعروف أنه كان امرأ عطوفا ، يفيض رحمة وبراً ، وأنه كان من الداعين إلى حكم الشورى ، والمؤمنين بصلاحه ، وله فى ذلك قصائد مشهورة .

أفرأى الاستاذ عنانى أنى حين تركت هذه الأبيات إنما تركتها لأنها فقط لا تتصل بموضوعى ، وأنه حين يضيفها إلى ما جئت به واقتصرت عليه إنما يسىء إلى صاحبه ، ويحمله تبعة ما ليس من طبعه ولا رأيه .

ويمضى الأستاذ عنانى فى الحديث عن طريقتى فى إيراد النصـــوص الأخلاقية ، فيقول عن البيت الذى جئت به من نهج البردة :

صلاح أمرك للاخلاق مرجعه فقوم النفس بالاخلاق تستقم

لا يتم معناه الفنى إلا بالبيتين التاليين :

والنفس من خيرها فى خير عافية والنفس من شرها فى مرتع وخم

تطغى إذا مكنت من لذة وهوى طغى الجياد إذا عضت على الشكم

وعندى أن البيت الأول من هذين البيتين لا يعدو أن يكون شرحا لغير غامض ، أو تفصيلا لغير مجمل ، فهو زيادة فى العدد لا فى الفكرة ؛ لأنه إذا كانت الفضائل كما يقول البيت الذى جئت به ، تصلح أمور الناس ، وتقوم نفوسهم ، كان معنى ذلك أن الناس بخير ما تمسكوا بها ، فإذا تخلوا عنها صار أمرهم إلى الشر والفساد . وهذا كل ما يقوله البيت الذى يليه ، فلا جديد إذا ولا ابتكار . أما البيت الأخير فمن قول البوصيرى :

من لى برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم

أفرأى حضرة الأستاذ أن صاحبه فى هذه الأبيات ليس كأحد من المتقدمين فى شعر الأخلاق فيلسوفا فى شعره ، أو شاعرا فى فلسفته ؟

يروى الأستاذ بعد ذلك ثلاثة نصوص من شعر شوقى ، ثم يذكر أنه

يعتقد أنى أوافقه على أنها تحتوى صوراً لاتقل عن صور النصوص التى رويتها لغير شوقى ، وانتهيت بها إلى تفضيلهم عليه . وللأستاذ عنانى أن يعتقد ما يشاء ، أما الواقع فهو أنى لا أرى نصوص شوقى تدنو شيئا من تلك النصوص بله أن تجرى معها فى مجال .

أما النص الأول فليس فيه من صور الأخلاق غير أن كتشنر رضعها من أمه لبنا ، ورآها فى شخصها مثالا ؟ وهذا بعينه ما تقوله العامة فى هذا المقام ، ولا داعى لإيراده فهو متعالم مشهور . وأما النص الثانى فليس مما نحن فيه ؛ لأنه لم يجىء عن الأخلاق إلا بلفظها إذ يقول عن ابن زيدون :

ما رأى الناس شاعرا فاضل الخلق طيبا

أما النص الثالث فالصورة التى فيه من قوله تعالى : وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية . ومن قول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

ويقول الأستاذ عن الأبيات التى رويتها لابن الرومى فى الحقد : إنها ضحلة ، لاعمق فيها ولا فلسفة ... وليس يكفى أن يقول قائل عن شىء : إنه كذا وكذا ، أو ليس كذا وكذا (بدون إبداء الأسباب) حتى يكون على ما قال بل لابد فى ذلك من البيان والاحتجاج والتعليل ، ثم يتكلم حضرته بعد هذا كلاما فلسفيا عن الحقد ومعناه ، والحقد وأنواعه ، ولاشأن للموضوع به ، فإنما الموضوع أن ابن الرومى دافع عن الحقد وأصحابه دفاعا شعريا فلسفيا رائعا ، يدل على براعة وعبقرية ، هما بعض ما أجمع الناس عليه من مزاياه . وما أرى الأستاذ عنانى بما فعل إلا متكلفا ما ليس بلازم أن يتكلفه ، لولا العصبية لشوقى . فالغض من ابن الرومى شىء ، وبراعة شوقى أوعجزه شىء آخر ، وقد يسقط ابن الرومى فى بعض شعره سقوطا فاحشا ، ولكن

هذا لا يرفع شوقى شيئا ، ولا يجدى عليه من النفع فتيلا ، إلا إذا كان حضرة الأستاذ يرى أن المقادير قد ألقت بالشاعرين فى كفتى ميزان ، وجعلت انتقاص أحدهما رجحانا للآخر وزيادة فى وزنه .

كنت قلت عن بيت شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إنه قد نال من اتساع الشهرة ، وذيوع الرواية أكثرها مما يستأهل ، وأحصيت عليه ثلاثة مآخذ كشفت بها عن قيمته الحقيقية أولها أنه يجعل الأمة فى وجودها وبقائها رهنا بالأخلاق ليس غير ، مع أن هناك عوامل أخرى لها فى كيان الأمة شأن أى شأن كالعلم والصحة والمال ، فلم يوافق الأستاذ عنانى على هذا وساق إلى ردا عليه قول الدكتور هيكل باشا فى مقدمة الديوان عن رأى شوقى فى الأخلاق . وقد نقله الأستاذ عنانى فى القسم المنشور من رده فى هذا العدد ، فلا حاجة إلى إعادته هنا . ولا أقول للقارىء الكريم : اقرأه ، واعجب ، ولكنى أقول له : اقرأه ، واعذر ؛ فما كان الأستاذ عنانى ليأخذ على هذه الخطة ، ولا ليتورط فيما تورط فيه لولا العصبية الغالية قاتلها الله . على أننا إنصافا لها ، نذكر أنها بالإضافة إليه ليست شرا محضا ، ولا قرين سوء فى كل حين ؛ فقد تحمل التبعة عنه ، ولا تحول بينه وبين الاعتذار .

نعم ، فقد اتخذ الأستاذ عنانى سبيله إلى المغالطة ، وحمل كلام هيكل باشا ما لا طاقة له به ، فأنا إنما أنقد بيتا رأيته معيبا ، وأقيم الحجة على قصوره ، وغفلة النقد عنه . فلا شأن لى إذا برأى شوقى فى الأخلاق ، لأن هذا الرأى لا يلتمس فى بيت واحد ، ولكن فى جملة شعر الأخلاق ، وآية ذلك أنى رويت فى آخر مقالى مقطعة له فى الأخلاق ، وقلت فى التمهيد لها هذه العبارة : وقد استطاع شوقى فى قصيدة ذكرى المولد أن يتلافى هذه المآخذ

فى مقطعة منها ، عرض فيها للأخلاق وآثارها بالحديث والبيان . ثم قلت فى خاتمة المقال : فللإيجاز بلا شك دخل كبير فى هذا القصور ، الذى ذكرنا فى بيته المشهور .

أما هيكل باشا ، فيعرض رأى شوقى فى الأخلاق ، ويدل على مبلغ ثقته بها فى بناء الأمم ، فأنا فى جانب ، وهو فى جانب آخر ، والمدى بيننا بعيد ، والنتائج التى ننتهى إليها لامحالة متخالفة ، فكيف إذا يتصور أن يكون خلافه لى ردا على ، أو خلا فى له ردا عليه ؟ وقد كان هذا كما ترى كافيا جدا فى إغفال كلام هيكل باشا وإخراجه من الميدان ، ولكنى مع ذلك أرغب إلى القارىء أن يتفضل بالرجوع معى إليه ، وأن يصبر على معاودة النظر فيه ، لنرى ما يدل عليه ، والغاية التى يقصد إليها صاحبه به . ألق بالك غير مأمور إلى هذه الكلمات منه : فشوقى يرى أن الأمم ... وهو يرى ذلك برغم ... فالعلم عنده ... وليس معنى هذا أن شوقى .... الخ الخ . فالرجل كما ترى يستخلص ، ويعرض ، ولا مزيد . وأين هذا مما يريد الأستاذ عنانى أن يكون ؟

ولا محل إذا لما يأتى به الأستاذ بعد ذلك من شعر شوقى لتوضيح كلام هيكل باشا فيما يقول ، فإنما هو توضيح لغير ذى موضوع كما يقولون .

وقلت فى ختام هذا المأخذ : وكان خيرا للبيت ... أن يودعه الشاعر مقومات الأمة كلها ... ثم يختص الأخلاق بما هى أهل له من إيثار ؛ ففهم حضرة الأستاذ أنى أريد الشاعر أن يقيم فى وزارة الخارجية البريطانية ، يتلقى عن أساطينها مقومات الأمم وطريقة بنائها ، حتى إذا حذقها قصد إلى الشعر ، فنظمها وآثر الفضائل عليها فى بيت مؤلف من عشر كلمات . وأؤكد لحضرة الأستاذ أنى أبصر بمآزق الشعر ، وصعوبة موالجها من أن أريد هذا أو أفكر فيه ، وأنى أرفق بصاحبه ، من أن أجشمه هذا أو بعضا منه .

ولكن الذى أريد أن يجمع أساس الملك كما جمع بعضها غير مضطر ولا مضيق عليه فى الشطر الأول من بيته :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهمو لم يبن ملك على جهل وإقلال

وأن يصنع للفضائل من بين هذه الآساس مثل ما صنع للصدق من بين العادات غير مضطر ولا مضيق عليه أيضا فى بعض الشطر الأخير من بيته

والصدق أرفع ما اهتز الملوك له وخير ماعودا بنا فى الحياة أب

أفرأى الأستاذ أنى لم أكلف شوقى شططا حين اقترحت ما اقترحت لأصلاح البيت ؟ وكان ثانى المآخذ على البيت أنه يعنى بالأخلاق الفضائل وعندى أنه تخصيص لا ضرورة إليه ، ولا فائدة منه ، وبخاصة أن الاصطلاح العلمى جرى على تفسير الأخلاق بالطبائع مطلقا ، وأن الاستعمال الأدبى لايخالف الاصطلاح فى ذلك . وقد جئت له بأمثله من كلام الله ورسوله وكلام شاعر قديم . وقد رد الأستاذ عنانى على ذلك بقوله : ونحن نوافقه على الرد لا على المأخذ ، وليس بعد كلام الله ،ولا كلام رسوله اصطلاح.

فالأستاذ كما ترى — لم يشأ أن يبين لنا كيف استطاع أن يقلب استدلالنا فيجعله علينا لا لنا , ويخيل إلى أنه رأى فى مجرد استعمال القرآن والحديث لكلمة خلق فى مقام المدح — آية على صحة استعمال شوقى وخطأ رأيى فى هذا الاستعمال فإن كان هذا — وليس يبدو لى وجه سواه فعجيب ، لأنه يكون قد نظر إلى بعض التركيب ، وأعرض عن بقيته ، كالذى ينهى عن الصلاة بآية : يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى :

فالله تعالى يقول لرسوله : وإنك لعلى خلق عظيم . والرسول يقول : ليس شىء أثقل فى الميزان من حسن الخلق ، فيخصص الله الخلق فى الآية بصفة العظمة ، ويخصصه الرسول فى الحديث بوصف الحسن . ومعنى ذلك أن الخلق وحده لا يدل على أكثر من معنى الطبيعة ولما كان

المقام للمدح فى الآية ، وتحبيب الفضيلة فى الحديث ـ لم يكن بد من زيادة صفة كاشفة ، معينة للمراد هنا وهناك : ولو كان معنى الخلق مرادفا لمعنى الفضيلة لم يكن هناك داع للوصف بالعظمة ثم الوصف بالحسن .

وأما المأخذ الثالث فهو أن البيت يجعل بقاء الأمة رهنا بأخلاقها : تبقى مابقيت ، وتذهب إذا ذهبت . ورأيى أن هذا على إطلاقه ليس بصحيح فقد ذهب الإسلام بكثير من أخلاق عرب الجاهلية ، فلم تذهب بذهابها ولكنها جاءت ، وصحت ، وملأت الدنيا حضارة وخيرا . وقد الأستاذ عنانى على ذلك هو : أن الإسلام خلق العرب من جديد ، وأن عرب الجاهلية بأخلاق الجاهلية أمة ، وعرب الإسلام بأخلاق الإسلام أمة .

ولقد نقبل هذا من الأستاذ عنانى شعرا وخيالا ، يراد به أن الإسلام قد أصلح نفوس العرب إصلاحا أصيلا شاملا ، حتى كانه خلقها خلقا جديدا ولكنى لا أظن أن أحدا يمكن أن يقبله منه حقيقة جارية ، تمثل الواقع من الأمر تمثيلا لاتجوز فيه . وإلا فقد قبل أن عمر بن الخطاب مثلا كان فى الجاهلية شخصا ، وأصبح بالإسلام شخصا آخر ذهب الله ببنيته الأولى مع دينه الأول ، وجاء ببنية له جديدة مع دينه الجديد .

أما بعد ، فما رأى حضرة الأستاذ عنانى الآن فى قوله : إن الحقائق يجب أن تمحص قبل أن تجرى بها أقلام ... ؟ أليس يرى أن الأمر فيما يتعلق بى كان عند قوله ، فلم يجر قلمى فى مقالى عن شوقى بجملة أو لفظة من جملة دون نقد وتمحيص ، وأن الموضوع لم يفد من هذا الجدل الذى أثاره غير المعاودة والتكرار فى أكثر الأحيان .

على أننى أشكر لحضرته حسن ظنه ، وبراءة قصده . وسلامة دواعيه .

وسلام له وإكبار ؟

على النجدى ناصف